الشواهد اللغوية وأثرها في الاستدلال على العقائد الشاهد الشعري نموذجاً

إعداد

أ/ محمد جمال محمد سعد الدين خضر

المجلد (٧٩) العدد (الثالث) الجزء (الأول) يوليو ٢٠٢٠م

مقدمة:

وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره

أولاً: أهمية الموضوع

تكمن أهمية موضوع الشاهد الشعري وأثره في شرح أحاديث العقائد فيما يلي:

خدمته للحديث النبوي الشريف.

تعتبر هذه الدراسة متممة للفائدة في كتب شُرُوح الحديث النبوي.

أن هذه الدراسة لم يتطرق إليها أحد بالبحث في أيٍّ من الجامعات المصرية.

الكم الهائل للشواهد الشعرية في شروح السنة النبوية والتي تمثل ظاهرة لا يمكن التغاضي عنها وإغفالها.

معرفة أسرار اللغة التي خاطب بها النبي ﷺ أصحابه مما يستلزم تفسير النص تفسيراً سليماً في ضوء قواعد اللغة، الأمر الذي يستلزم معرفة أثر توظيف الشاهد الشعري في مجالات المعرفة المختلفة.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

إثراء قريحة الباحث وصقل ملكته الحديثية من خلال اطّلاعه على أكثر من مصدر من مصادر السنة.

إظهار القيمة العلمية للشاهد الشعري ودوره في الاستدلال على العقائد .

المبحث الأول

أثر الشاهد الشعري في شرح أحاديث العقيدة(*)

تمهيد:

لم يقف دور الشاهد الشعري عند حدود التفسير اللغوي لنصوص السنة المطهرة، وبيان غريب ألفاظها فقط، بل تعداه إلى فضاءات أوسع وأرحب بكثير، حيث جاء الشاهد حكمًا وقاضيًا في كثير من المسائل العقدية سواء أكانت من قبيل الإلهيات، أو النبوات، أو السمعيات، وقد أسهم الشاهد الشعري إسهاماً فاعلاً في حل بعض إشكالاتها والخروج من الخلاف فيها وإماطة اللثام عما عسى أن يكون قد اكتنفها من غموض، وقد لجأ كثير من فحول شراح الحديث النبوي إلى الشاهد الشعري كمرجح عند الخلاف، وقد جاءت أحكامه قاطعة قاضية على الخلاف، شاهدة على المعاني من حيث الدلالة اللغوية؛ لإيضاح تلك المعاني وتجليتها، فهو مستند وحجة للاستشهاد على المعاني المرادة من أقواله (ﷺ)، وكما كان الشاهد الشعري حجة في شرح الجوانب اللغوية للحديث، فهو كذلك أداة من أدوات الاحتجاج في قضايا العقيدة، وهذا ما حدا بكثير من شراح الحديث النبوي الشريف إلى توظيف الشاهد الشعري، لخدمة النص الشريف وتفسيره، وبيان مراد النبي (ﷺ) منه، فشواهد اللغة من أهم أغراضها بيان معاني أقواله (ﷺ).

(*) العقيدة: لغة: مصدر من اعتقد، يعتقد، مأخوذ من العقد، وهو الربط، والشد بقوة، يراجع: تاج العروس، للزبيدي، ١١٥/٥، مادة "عقد"، وفي الاصطلاح: ما ينعقد عليه قلب المرء، ويجزم به، ويتخذه دينًا، ومذهبًا، بحيث لا يتطرق إليه الشك فيه، صحيحًا كان المعتقد أم فاسدًا، وما خالف الحق فهو اعتقاد باطل، والعقيدة الاسلامية، هي الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، وبكل ما جاء به القرآن، وما جاء به الرسول (ﷺ)، فهي: تصديق بالغيب، وتوحيد للرب، وعبادة لله بما شرع، يراجع: المصباح المنير ، للفيومي، ٤٢١/٢، مادة "ع ق د".

وعلى هذا فلم يكن اهتمام الشراح بالشعر مقصودا لذاته وإنما أوردوه؛ ليفقهوا به مراد النبي (ﷺ) من أحاديثه، ولذا أوجب العلماء ضرورة معرفة المفسر والشارح لكتاب الله، وسنة رسوله (ﷺ) أن يكون عالمًا باللغة وأسرارها وشواهدها؛ حتى لا يقع في سوء الفهم، ولا يجانبه الصواب عند تصديه لشرح ما قد يستغلق من الألفاظ والتراكيب.

ونظرًا لما تتمتع به الشواهد الشعرية من منزلة بين شواهد اللغة، عولت بعض الطوائف عليها كثيرًا في تفسيرها لكتاب، ومن هذه الطوائف المعتزلة والخوارج الذين حرصوا على التفسير اللغوي لكتاب، حتى ولو تعارض مع تفسير السلف.:

النموذج الأول: "استواء الله تعالى على عرشه"

صفة الاستواء من الصفات التي وصف المولى بها نفسه في كثير من آي القرآن الكريم، كقوله تعالى " ثُمَّ استوى على العرش "(١)، كما ورد تقرير ذلك في كثير من نصوص السنة الصحيحة، كما في صحيح البخاري رحمه الله، قال (ﷺ) "كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السماوات والأرض"(٢)، ومنها في صحيح مسلم رحمه الله: "إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء".(٣)

---

(١) يراجع: سورة الأعراف، آية٥٤، يونس آية٣، والرعد، آية٢، والفرقان، آية٥٩، والسجدة، آية٤، والحديد، آية٤، يقول الله فيها جميعًا، "ثُمَّ استوى على العرش"، وقال في سورة طه، آية٥، "الرحمن على العرش استوى".

(٢) أخرجه البخاري، في صحيحه، ك، بدء الخلق، باب: ما جاء في قوله تعالى "وهو الذي يبدأ الخلق"، ١١٦٤/٣، ح٣٠١٩.

(٣) صحيح مسلم، ك، القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ٢٠٤٤/٤، ح٢٦٥٣.

فالآيات والأحاديث صريحة في إثبات صفة استواء الله تعالى على عرشه، كما تقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة، من غير مماسة ولا كيفية ولا مجاورة ولا تمثيل ولا تعطيل، فهذه الصفة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

وعلى هذا فمنهج السلف في تقرير ذلك هو عدم الخوض فيه بتأويل، وإنما عادتهم تفويض علمه إلى الله، مع الإيمان به(٤)، وقد نقل ذلك عن كثير من أئمة أهل السنة، قال الإمام مالك فيما اشتهر عنه: "الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"(٥)

وقالت الجسمية: "معناه الاستقرار، وقال بعض أهل السنة معناه: ارتفع، وبعضهم معناه علا، وبعضهم معناه الملك والقدرة، ومنه استوت له الممالك، وقيل معنى الاستواء التمام والفراغ"(٦)

وأما منهج أهل التأويل: وهم المخالفون لأهل السنة من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة والأشاعرة والخوارج، فقد نفوا صفة الاستواء وتأولوها بغيرها، من الاستيلاء، وحجتهم في ذلك شاهد من الشعر مبالغين في التعويل عليه تاركين أقوال السلف ومنهج أهل السنة في مثل هذا.

وقد حكى الحافظ ابن حجر هذه الأقوال ذاكرًا فساد مذهبهم مفندًا لأقوالهم، بقوله: "اختلف الناس في الاستواء المذكور هنا، فقالت المعتزلة معناه الاستيلاء بالقهر والغلبة، واحتجوا بقول الشاعر:

---

(٤) يراجع: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، والآيات المحكمات، والمتشابهات، لمرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، ص١٢٠، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦ه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

(٥) يراجع: الأسماء والصفات، للبيهقي، ص٨، ط مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤١٣-١٩٩٣م، تحقيق: عبد الله محمد الحاشدي.

(٦) فتح الباري، ٤٠٦/١٣.

قَــدِ اسْــتَوَى بِشْــرٌ عَلَــى الْعِــرَاْقِ مِــنْ غَيْـرِ سَـيْفٍ أَوْ دَمٍ مُهْـرَاقٍ(٧)

***

فالحافظ ابن حجر: يورد أقوال جميع الطوائف في مسألة الاستواء ملخصًا إياها، ذاكرًا الدليل مناط الخلاف ومثار الجدل وهو الشاهد الشعري الذي يقرر أن الاستواء بمعنى الاستيلاء، إلا أن بعض العلماء قد أنكر هذا البيت ومن أبرزهم من أهل اللغة: الإمام الخطابي حيث قال: "وزعم بعضهم أن الاستواء ها هنا بمعنى الاستيلاء، ونزع فيه ببيت بمجهول لم يقله شاعر معروف يصح الاحتجاج به"(٨)

ولكن الحقيقة أن نفي البيت وزعم نسبته إلى من لا يصح الاحتجاج به دعوى مرفوضة جانبها الصواب؛ لأن البيت مُتَرَدَّد في نسبته ومُخْتَلَف فيها لا مجهول القائل، وسواء قاله البعيث، أو الأخطل فكلاهما من أهل الاحتجاج، وعلى هذا فيكون الصواب في هذا هو نفي تفسير الاستواء بمعنى الاستيلاء في جنب الله خاصة، وإن جاز في حق العباد؛ لأن الاستعمال موجود في لغة العرب، فليس كل ما صح لغة صح حمل القرآن عليه.(٩) وهذا هو الصواب من القول أو الأقرب إلى الصواب لا نفى البيت من أصله، لاسيما إذا ثبت وجود مثل هذا الاستعمال في اللغة وهو موجود فعلًا ومنه قول الشاعر:

*** تَرَكْنَــاْهُمْ صَــرْعَى لِنِسْــرٍ كَاْسِــرِ

---

(٧) البيت: مختلف في نسبته، فتارة ينسب للبعيث المجاشعي، كما في الأزمنة والأمكنة للمرزوقي، ص٣٦، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧ه، وقيل إنه للأخطل، كما في تفسير الطاهر بن عاشور، يراجع: التحرير والتنوير، ١٦٤/٨، وبلا نسبة في الصحاح للجوهري، ٢٣٨٠/٦، مادة: "سوا"، وكذا في لسان العرب، لابن منظور، ٤١٤/١٤، مادة: "سوا".

(٨) نسبه الموصلي إلى الخطابي في شعار الدين، يراجع: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن عبد الكريم الموصلي، ص٣٧٣، ط دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٢-٢٠٠١م، تحقيق: سيد إبراهيم.

(٩) يراجع: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٤٧/٥.

وقول الآخر:

هُمَـــا اسْـــتَوَيَا بِفَضْـــلِهِمَا جَمِيْعًـــا *** عَلَىَ عَرْشِ الْمُلُوْكِ بِغَيْرِ زُوْرٍ(١٠)

وعليه يمكن القول بأن التعبير "باستوى علي" أسلوب انفرد به القرآن الكريم، عبر به عن الاستواء على العرش "فهو من مبتكرات القرآن"(١١)، حتى قال الإمام الذهبي، معلقًا على البيتين السابقين، "بأنه أمر مشهور في لغة العرب"(١٢)، ولكن البعض من أكابر أهل اللغة أنكر هذا الاستعمال أي: استوى بمعنى استولى، قال الخليل بن أحمد: "هذا ما لا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتها، فحمله على ما لا يُعْرف حمل باطل".(١٣)

وبهذا يتضح ما للشاهد الشعري من أثر واضح في شرح الحديث النبوي، حيث استدلت به طائفة على ترجيح مذهبهم وتقرير معتقدهم وإثباته، مستمدين من دلالته اللغوية ما يخدم فهم المفردات والتراكيب والأساليب فكان الشاهد الشعري هو الحجة والبرهان حتى ولو لم يثبت، فكان مثار جدل واسع ونزال وسجال بين العلماء، وقد بالغت بعض الطوائف في التعويل عليه كحجة والاعتماد عليه كمستند ترجيح، وإحقاقًا للحق: فإنه

---

(١٠) البيتان: لم أقف على قائلهما، وأوردهما الإمام الذهبي في العرش، بلا نسبة، ١٩٧/١، ط عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٤-٢٠٠٣م، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي.

(١١) يراجع: التحرير والتنوير، ٨٣/٤.

(١٢) يراجع: العرش للإمام الذهبي، ١٩٧/١.

(١٣) نسبه الإمام ابن تيمية إلى الخليل، كما ذكره أبو المظفر في كتابه الإفصاح عن معاني الصحاح، ولم أقف عليه فيه، ط دار الوطن الرياض، ١٤١٧، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، يراجع: مجموع الفتاوى، ١٤٦/٥.

مع ما للشواهد الشعرية من أهمية بالغة في الترجيح بين المسائل الخلافية، وحل بعض الإشكالات أيًا ما كان نوعها عقدية كانت أو شرعية، أو غيرها، فإنه لا ينبغي حمل أقوال النبي (ﷺ) على ما يراد من ألفاظ اللغة وشواهدها فقط وإنما ينبغي الرجوع إلى أهل الحديث؛ لكونهم العارفين بكلام النبي (ﷺ).

النموذج الثاني: "الكرسي"

من الأمور العقدية التي ينبغي على المسلم الإيمان بها أن الله تعالى أثبت لنفسه كرسيًا بنصوص القرآن والسنة، قال تعالى: "وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّمواَتِ والأرض"(١٤)، ومن السنة قوله (ﷺ): "ما السماوات السبع والأرضين السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة"(١٥)، ولما كان الكلام في المثال السابق عن العرش والاستواء عليه، كان الكلام عن الكرسي نتيجة حتمية لما بين الاثنين من علاقة، فالكرسي بالنسبة إلى العرش كالمرقاة إليه.(١٦)

فالآية والحديث صريحان في إثبات أن لله تعالى كرسيًا كما أثبته لنفسه عز وجل، وأهل السنة على ذلك، والكرسي عندهم "جسم عظيم بين يدي العرش والعرش أعظم منه وهو موضع القدمين للباري عز وجل"(١٧)

---

(١٤) سورة البقرة، جزء من آية، ٢٥٥.

(١٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ك، البر والإحسان، باب: ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها، ٧٦/٢، ح٣٦١، وأبو نعيم في حلية الأولياء، ١٦٦/١، والبيهقي في الأسماء والصفات، ٣٠٠/٢.

(١٦) يراجع: العرش وما روي فيه، لابن أبي شيبة، ص١٠٥.

(١٧) السابق، ص١١٠، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٧٧/٣، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي، ٥٢٦/٣، وفتح الباري، ١٩٩/٨.

يقول ابن عباس: "الكرسي موضع القدمين، وأما العرش فلا يُقَدَّر قَدْرُه"(١٨)، وقد رجح علماء اللغة ما اختاره ابن عباس (ﷺ) من أن الكرسي موضع القدمين.

وقال آخرون المراد بالكرسي "العلم".

جاء في تاج العروس: "الكرسي" العلم وهو مجاز، وقيل المراد به المُلْك، وقال قوم "كرسيه" قدرته التي يُمْسِك بها السماوات والأرض، وقد ذكر الأزهري ناسبًا إلى الزجاج أن الكرسي في اللغة الشيء الذي يُعْتَمْد ويُجْلَسُ عليه.(١٩)

وبهذا يتضح أن تضافر الأدلة من قرآن، وسنة، وإجماع، ولغة، تؤيد مذهب أهل السنة، من أن الكرسي جسم عظيم بين يدي العرش، يُعْتَمد ويجلس عليه، وقد ارتضى الإمام الطبري، هذا القول ورجحه.

وأما أهل التأويل فقد نفوا "الكرسي" على الله تعالى، وأولوه، وذهبوا في تأويله إلى أقوال أربعة: منها أن المراد من الكرسي "العلم"، وقيل هو "العرش نفسه"، وقيل "قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض"، وقيل إنه الفلك الثامن، أو فلك البروج، أو

---

(١٨) أخرجه: الدارمي في "نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علي المريسي الجهمي العنيد، فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، ٤١٢/١، ط مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٩٨م، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، والطبراني، في المعجم الكبير، ٣٩/١٢، ح١٢٤٠٤، ط مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، ط٢، ١٤٠٤-١٩٨٣م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، والبيهقي في الأسماء والصفات، ١٩٦/٢، ح٧٥٨، والحاكم في المستدرك، ٣١٠/٢، ح٣١١٦، عن ابن عباس موقوفًا.

(١٩) يراجع: تهذيب اللغة، للأزهري، ٣٢/١٠، مادة "كَرَسَ"، ولسان العرب، لابن منظور، ١٩٣/٦، مادة "كَرَسَ".

فلك الكواكب الثوابت(٢٠)، ولكنها تأويلات لا دليل لها يصح الاعتماد عليها، كما قرر الألوسي رحمه الله.(٢١)

ساق الإمام القسطلاني الأقوال الواردة في هذا الشأن بقوله: "كرسيه "علمه" تسمية للصفة باسم مكان صاحبها، ومنه قيل للعلماء الكراسي، وقيل يعبر به عن السر، قال:

مَـــأْلِي بِـــأَمْرِكَ كُرْسِـــيُّ أُكَأْتِمُـــهُ وَلَاْ بِكُرْسِـيِّ عِلْـمِ اللهِ مَخْلُـوْقُ(٢٢)

***

الإمام القسطلاني في هذا المثال، يورد كُلَّ ما قيل في المسألة من أقوال، وكما سبق فكلها أقوال لا سند لها إلا قول من قال بأنه جسم عظيم بين يدي العرش، ساق له الشارح دليلًا من السنة، وقول من تأولوا الكرسي بالعلم وأورد دليلهم من شواهد الشعر ليكون مستند الترجيح لرأيهم، ولكن في الحقيقة لا يستطيع الوقوف في وجه الدليل الشرعي، سيما إذا لم يعرف قائله ولم تصح نسبته، ثم أورد لهم دليلًا شرعيًا لتتضافر الأدلة ويعضد بعضها بعضًا في ترجيح قولهم، وهو قول ابن عباس(ﷺ) "كرسيه علمه"، ولكن الصواب من القول أن هذا الأثر ضعيف ويعارضه الحديث الصحيح، بل لا معارضة بين صحيح وضعيف.

والحقيقة، أن القول بتأويل "الكرسي"، بالعلم" ليس قولًا مفردًا بل هو قول عدد غير قليل من العلماء، يقول الإمام الماوردي: "فُسِّرَ "الكرسي" بالعلم؛ لأن موضع العالم هو

---

(٢٠) يراجع: تفسير الطبري، ٣٩٨/٥، وما بعدها، والكشاف، للزمخشري، ٣٠١/١، والنكت والعيون، للماوردي، ٣٢٥/١.

(٢١) يراجع: روح المعاني، للألوسي، ١٠/٣.

(٢٢) البيت: لم أقف على قائله، وهو بلا نسبة في غالب المصادر، يراجع: البحر المحيط، لأبي حيان، ٦١٣/٢، والموافقات، للشاطبي، ٣٠٢/٦، وقد نسبه الإمام الماوردي فقط إلى أبي ذؤيب الهذلي، ولم أقف عليه في ديوانه.

الكرسي، تسمية للصفة باسم مكان صاحبها على سبيل المجاز، ومنه قيل للعلماء كراسي؛ لأنهم المعتمد عليهم، قال الشاعر: (٢٣)

يَحُفُّ بهم بِيْضُ الْوُجُوْهِ وَعُصْبَةٌ كَرَاْسِيُّ بِالْأَحْدَاْثِ حِيْنَ تَنُوبُ

***

أي علماء بحوادث الأمور، فدلت هذه الشواهد علي أن أصح تأويلاته ما قاله "ابن عباس" أي علمه"(٢٤)

وبعد هذا العرض تظهر القيمة الحقيقية للشواهد الشعرية في تقرير مسائل العقيدة، فهي إن ثبتت كانت حججًا في هذا الباب، والدليل على اعتبارها أدلة ذات قيمة أن أهل السنة لم يعترضوا على الدليل اللغوي في حد ذاته، وإنما انصب اعتراضهم على عدم ثبوته ونسبته، وإجمالًا فالعقائد لا تقرر بأمثال هذه الشواهد المجهولة وهي مع جهالتها أثرت المسألة باعتراضات وردود فأكسبتها قيمةً وأثرًا.

النموذج الثالث: الوعد والوعيد

من أهم القضايا العَقَدِيَةِ التي اختلفت أفهام الناس حولها مسألة الوعد والوعيد، وحكم مرتكب الكبيرة، وأقوال الفرق الإسلامية في الحكم عليه، فمنهم من يكفره ويحكم بخلوده في النار كالخوارج، ومنهم من يرى أنه لا مؤمن ولا كافر إنما هو في "منزلة بين المنزلتين" وهم المعتزلة، وأما أهل السنة فيرون أن الكبيرة لا تُخْرِج العبد من الإيمان ولا تدخله في الكفر.

---

(٢٣) البيت: لم أقف عليه منسوبًا، وهو بلا نسبة في، أساس البلاغة للزمخشري، ١٣٠/٢، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميري، ٥٧٩٨/٩، ط دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، سوريا، ط١، ١٤٢٠-١٩٩٩م، تحقيق: حسين بن عبدالله العامري، مظهر بن علي الإرياني، يوسف محمد عبد الله.

(٢٤) النكت والعيون، للماوردي، ٣٢٥/١-٣٢٦.

والسبب في هذا الخلاف مبني على اختلافهم في حقيقة الإيمان، فمن قال أن الإيمان هو التصديق قال إن مرتكب الكبيرة مؤمن عاصٍ، ومن قال إن الإيمان هو التصديق والعمل المفروض قال إن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، لأنه انتفى عمله الذي هو شطر حقيقة إيمانه ولا هو كافر نظرًا لما تواتر من الأدلة على عدم قتله بل ودفنه في مقابر المسلمين والصلاة والدعاء له بل هو فاسق، ومن قال أن الإيمان هو التصديق والعمل مطلقًا فرضًا كان أو نفلاً قال إن صاحب الكبيرة كافر.

ويتفق أصحاب القولين الأخيرين في الحكم على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار، فالخلاف بينهما لفظي فقط "كافر أم فاسق"(٢٥)، وعلى ذلك يرى الخوارج والمعتزلة أن الله لا يخلف وعده ولا يبطل وعيده، فكما لا يجوز خلف الوعد لا يجوز تخلف الوعيد، أما أهل السنة فيرون جواز تخلف الوعيد ويعدون ذلك تَكَرُّمَاً، وأما إخلاف الوعد فمذموم(٢٦)، ولكل قول دليله، وقد ساق الإمام القسطلاني الأقوال في المسألة مشفوعَة بأدلتها بشيء قليل من التفصيل يقول: "كَتَبَ رَبُّكُم عَلَى نَفسِهِ الرحمة" أوجب وعدًا أن يرحمهم قطعًا، بخلاف ما يترتب عليه من مقتضى العقاب، فإن الله كريم يتجاوز عنه بفضله، وأنشد:

وَإِنِّي إِذَاْ أَوْعَـــدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُـــــهُ *** لَمُخْلِـــفُ إِيْعَـــادِي وَمُنْجِـــزُ مَوْعِـــــــــــــــدِي(٢٧)

---

(٢٥) يراجع: الملل والنحل، للشهرستاني، ٧٧/١.

(٢٦) يراجع: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، ٣٧١/١، ط مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢، ١٤٠٢-١٩٨٢م.

(٢٧) البيت: لعامر بن طفيل، وهو في ديوانه بلفظ: "وإني إن أوعدته، لأخلف، أنجز"، يراجع ديوان عامر بن طفيل، ص٥٨، ط دار صادر، بيروت، ١٣٩٩-١٩٧٩م، برواية أبي بكر بن الأنباري.

فالإمام القسطلاني يعرض أقوال الفريقين، ويقرر عقيدة أهل السنة في مرتكب الكبيرة كما يعرض لمذهب المعتزلة والخوارج، ويدحض حجتهم، ويبين سوء فهمهم لآيات الوعيد، وهذا النص مما يبرز القيمة العلمية للشواهد الشعرية في تقرير العقائد، وإثباتها إذا هي صحت نسبتها لمن يحتج به، حيث تواترت أقوال العلماء في إيراد البيت حتى أنه يكاد لا يخلو منه كتاب.

وبهذا يتضح أن: إلجام عمرو بن عبيد القدري لم يأت بدليل شرعي؛ لأن له ردودًا على الأدلة الشرعية، وإنما أفحمه أبو عمرو بن العلاء بشاهد من كلام العرب فلم يحر جوابًا، وهذا دليل على ما للشاهد الشعري من قيمة علمية في الخروج من المسائل الخلافية ذات الدلالة اللغوية، وقد قضت دلالة الشاهد اللغوية على الخلاف في حكم إخلاف الوعد أو الوعيد.

والحافظ ابن حجر وهو من أئمة أهل السنه يرى جواز تخلف الوعيد, وأن ذلك تكرمًا وتفضلًا مِنه سبحانه وتعالى, ولم يجنح إلى ذكر الشاهد الذى يفرق بين الوعد والوعيد, فكأن ذلك عنده بمثابة المعلوم الذى لا يحتاج إلى بيان.

والتفريق بين الوعد والوعيد كما جاء به الشاهد الشعري, هو قول عامة جماهير أهل السنة(٢٨).

النموذج الرابع: أثر قدم الخليل إبراهيم عليه السلام في صخرة المقام

أيد الله تعالى أنبياءه ورسله بالكثير من المعجزات الحسية والمعنوية تأييدا لهم, وتأكيدًا على صدقهم ليقيموا بها الحجة الغالبة لأقوامهم, فتكون دليلًا على صدقهم فيما بلغوا عن ربهم, وهذه المعجزات وخوارق العادات التي أجراها الله تعالى على أيدى أنبياءه ورسله منها ما انتهى بزمان النبوة(٢٩) وظل وجوب الإيمان به في كل زمان ومكان,

---

(٢٨) يراجع: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة, ٣٠٢/٢, ط دار الريان، الرياض, ط٢, ١٤١٨, تحقيق د/ عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

(٢٩) كانشقاق القمر, وتسبيح الحصى, وحنين الجذع وغيرها له (ﷺ).

لأنها نقلت نقلًا صحيحًا ووثقت توثيقًا بالغًا, فمن سمعها من المتأخرين ممن جاءوا بعد زمان النبي صاحب المعجزة كأنه يراها رأي العين, لاطمئنان قلبه إلى توثيقها وضبط نقلها, فمنها ما نطق به القرآن الكريم ومنها ما سجلته نصوص السنة المطهرة.

ومن المعجزات ما ظل أثره باقيًا بعد زمان النبوة(٣٠) حتى شاهده من جاء من الأمم التالية للنبي صاحب المعجزة, كما هو الحال في معجزة الخليل إبراهيم عليه السلام, من وجود أثر قدمه الشريفة في الصخرة, وبقاء هذه المعجزة بعده.

وطريق إثبات هذه المعجزة هو: الاستفاضة والشهرة, وقد اشتهرت هذه المعجزة حتى جرت على لسان الشعراء, فأثبتها أبو طالب في بيت شعري حَفِظَ بقاءها إلى الآن, فذاعت واشتهرت وظلت باقية حتى شاهدها أوائل أمة نبينا (ﷺ)، يقول الحافظ ابن كثير: "وقد كانت أثر قدمي الخليل باقية علي الصخرة إلى أول الإسلام"(٣١), وإن كان قد انمحى أثرها من مسح الناس للحجر تبركًا بآثار الأنبياء"

يقول الحافظ بدر الدين العيني: عند شرحه لحديث عمر بن الخطاب "وافقت ربي في ثلاث... فقلت لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى... الحديث"(٣٢), " ثم رأى أن البيت مضاف إليه وأن أثر قدمه في المقام كرقم الباني في البناء ليذكر به بعد موته, فرأى في الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسمَ من بناه, ولم تزل قدمي إبراهيم عليه السلام ظاهرة فيه معروفة عند العرب في جاهليتها؛ ولهذا قال أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة:

---

(٣٠) كمعجزة أثر قدم الخليل إبراهيم عليه السلام في الصخرة.

(٣١) يراجع: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير, ٤١٧/١, ط دار طيبه للنشر والتوزيع, ط٢, ١٤٢٠-١٩٩٩م, والبداية والنهاية، لابن كثير, ١٨٩/١.

(٣٢) أخرجه البخاري في صحيحه, ك، الصلاة, باب: ما جاء في القبلة، ومن لا يرى الإعادة على من سها فصلى الى غير القبلة, ١٥٧/١, ج ٣٩٣.

وَمَـوْطِئُ إِبْـرَاْهِيمَ فِـي الْصَّـخْرِ رَطْبَـةٌ عَلَـى قَدَمَيْـهِ حَافِيـًا غَيْـرَ
*** نَاْعِـلِ(٣٣)

اتضح من خلال النص السابق مدى اهتمام الشراح بإيراد الشاهد الشعري وعنايتهم بتوظيفه في سياقه ومنزلته في الاستدلال على الوقائع وحفظها, وذلك حين ساق معجزة أثر قدم الخليل إبراهيم عليه السلام في الصخرة, وحكم بشهرتها وذيوعها ومعرفة العرب لها في جاهليتهم, وبريد شهرتها ومستند ذيوعها ما ساقه من شاهد شعري قاله أبو طالب حُفِظَ به أصل المعجزة من الاندثار فكان الشاهد الشعري هو أداة الاستفاضة والشهرة، فكما هو مقرر في النصوص السابقة, أن المعجزة قد زال أثرها من كثرة مسح الناس بالحجر, فلولا هذا الشاهد لانمحى أثر المعجزة حقيقة وحكمًا, ولكن ظلت باقية في نفوس الناس ما تردد هذا الشاهد على الألسنة, فبفضله صان الله هذه المعجزة من الاندثار والمحو الكلي.

---

(٣٣) البيت: لأبي طالب عم النبي (ﷺ)، وهو في ديوانه، ص٦٥.

النموذج الخامس: حبس الشمس ليوشع بن نون عليه السلام(٣٤)

اشتهرت قصة حبس الشمس ليوشع بن نون عليه السلام قديمًا وحديثًا، في الجاهلية والإسلام، وكان العمدة في إثبات اشتهارها شاهد من الشعر قاله أبو تمام يقول فيه:

فَـــوَاللهِ لَاْ أَدْرِي أَأَحْـــلَاْمُ نَـــأْئِمٍ أَلَمَّـــتْ بِنَـــا أَمْ كَـــاْنَ فِـــي الرَّكْـــبِ *** يُوْشَـــــــــــــــــــــــــــــــعُ(٣٥)

فالشاهد أبان عن اشتهار القصة وورودها وتواترها قبل زمان النبوة، وذلك على سبيل إثبات المعجزات للأنبياء تأييدًا لهم، كما أضاف الشاهد الشعري - ضمنًا – قصر حبس الشمس على يوشع عليه السلام دون غيره من الأنبياء، إذ لو وقع لغيره من الأنبياء قبل نبينا (ﷺ) ما كان لذكر يوشع وحده فائدة تذكر، ثم إن هناك أحاديث تفيد وقوع ذلك لنبينا (ﷺ) وأن ذلك من كمال معجزاته، وجمع العلماء بين الأحاديث الشريفة وما ذكر في الشاهد بأجوبة تأتي عما قليل.

---

(٣٤) يوشع بن نون: هو يوشع بن نون بن اليشامع بن عميهوذ، بن بارص، بن بعدان، بن ناضر بن ثالخ، بن راشف، بن راقخ، بن بريعا، بن إفراثيم، بن يوسف، بن يعقوب عليه السلام، متفق على نبوته عند أهل الكتاب؛ لأنه مصرح به في التوراة، ولد في مصر، كان خادمًا لموسى عليه السلام، ثم ترك مصر وهو في الأربعين من عمره، عندما عينه موسى عليه السلام قائدًا في عبور نهر الأردن، والخروج ببني إسرائيل من أرض مصر، توفي وهو ابن عشر ومائة سنة، يراجع: دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبة بباوي وآخرون، ٢٧١/٨-١٧٥، ط دار الثقافة، القاهرة، ط٣، وقاموس الكتاب المقدس، لبطرس عبد الملك وآخرون، ص١٠٦٨-١٠٧٠، منشورات مكتبة المشعل، بيروت، ط٦، ١٩٨١م، بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط.

(٣٥) البيت: لأبي تمام، وهو في ديوانه، ٣٩٧/١.

وقد نقل شراح الحديث اشتهار قصة حبس الشمس ليوشع عليه السلام، واستدلوا لذلك ببيت أبي تمام السابق، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتى قال أبو تمام في قصيدةٍ":

فَـــوَاللهِ لَاْ أَدْرِي أَأَحْـــلَاْمُ نَـــاْئِمٍ *** أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يُوْشَعُ

ولا يعارضه ما ذكره "يونس بن بُكَيْر", في زياداته على مغازي بن إسحق"أن النبي(ﷺ) لما أَخْبَر قريشًا صبيحة الإسراء أن العير التي لهم تقدم مع شروق الشمس فدعا الله فحبس الشمس حتى دخلت العير(٣٦), وهذا منقطع, لكن وقع في الأوسط للطبراني, من حديث جابر "أن النبي (ﷺ) أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار(٣٧) وإسناده حسن، ووجه الجمع أن الحصر محمول على ما مضى من الأنبياء قبل نبينا (ﷺ)، فلم تحبس الشمس إلا ليوشع، وليس فيه نفي أنها تحبس بعد ذلك لنبينا (ﷺ).يظهر من خلال النص السابق: ما للشاهد الشعري من مكانة معتبرة، والاعتماد عليه كدليل إثبات، وأداة من أدوات نقل الشهرة والاستفاضة، وذلك حين قُرِنَ الشاهد الشعري بالقصة، وَصُدِّرَت الأدلة به على اعتبار أنه دليل إثبات قصة حبس الشمس ليوشع بن نون عليه السلام، وكذا حين دافع الشارح عما أثبته الشاهد الشعري من استفاضة القصة، وقَصْرُ حبس الشمس على يوشع، وأن ذلك مُسَلَّمٌ معلوم غير معارض، حيث يقول: "ولا يعارضه ما ذكره يونس بن بكير في زيادته على مغازي بن إسحاق من حبس الشمس صبيحة الإسراء لدخول العير

---

(٣٦) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة, ٤٠٤/٢, وأخرجه يونس بن بكير في زيادته على مغازي ابن إسحاق, ولم أقف عليه في المغازي فيما طبع منها.

(٣٧) أخرجه الطبراني في الأوسط, ٢٢٤/٤, ح٤٠٣٩، ط دار الحرمين، القاهرة، دت، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: "رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن", يراجع: مجمع الزوائد، للهيثمي, ٢٩٧/٨, ح١٤٠٩٥.

وقصة حبس الشمس ليوشع عليه السلام قصة مشهورة تواترت أقوال العلماء في إثباتها والحكم بصحتها ليوشع عليه السلام، ودليل ثبوتها واشتهارها ليس إلا الشاهد الشعري، يقول الإمام المناوي رحمه الله: "فالمعتمد أنها لم تحبس إلا ليوشع، وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتى قال أبو تمام:

فَـــوَاللهِ لَاْ أَدْرِي أَأَحْـــــلَاْمُ نَـــــأْئِمٍ *** أَلَمَّـتْ بِنَـا أَمْ كَـأْنَ فِـي الرَّكْـبِ يُوْشَـعُ (٣٨)

فالإمام المناوي يرى حبس الشمس ليوشع، وأن المعتمد أنها لم تحبس إلا له، ودليله في ذلك هو الشاهد الشعري الذي ينقل شهرة القصة حتى بلغ بها مبلغ التواتر.

وبعد هذا العرض، يتبين أن: للشاهد الشعري قيمة علمية لا تنكر؛ حيث جاء به الحافظ ابن حجر في ثنايا شرحه للاستئناس والتقوية والشهادة على الشهرة، ويكفي أن الحافظ صدر الأدلة بالشاهد الشعري تدليلًا على قيمته ومكانته في التأريخ للوقائع والأحداث.

---

(٣٨) فيض القدير، للمناوي، ٤٣٩/٥.

فهرس المصادر

- الأسماء والصفات، للبيهقي، ط مكتبة السوادي، جدة، ١٤١٣-١٩٩٣م، تحقيق: عبد الله الحاشدي.
- الاعتصام، للشاطبي، ط ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٢-١٩٩٢م، تحقيق: سليم عيد الهلالي.
- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، لمرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦ه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.
- تاريخ المذاهب الإسلامية، للشيخ محمد أبو زهرة، ط دار الفكر العربي، القاهرة، بيروت، د-ت.
- تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ص٦٧، ط المكتب الإسلامي, مؤسسة الإشراق, بيروت, ط٢, ١٤١٩-١٩٩٩م، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٦٠/٥، ٥٨٤/٦.
- دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبة بباوي وآخرون، ط دار الثقافة، القاهرة.
- رسالة الرد على مسائل الإباضية، للإمام أحمد بن يحيى، ، ط دار الآفاق العربية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ه، تحقيق: إمام حنفي عبد الله.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ، ط مكتبة المعارف, الرياض، ط١، ١٤١٥.
- شرح صحيح البخاري، لابن بطال, ط مكتبة الرشد، الرياض، ط٢, ١٤٢٣-٢٠٠٣, تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميري، ، ط دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، سوريا، ط١، ١٤٢٠-١٩٩٩م، تحقيق: حسين بن عبدالله العامري.
- العرش وما روي فيه، لابن أبي شيبة ، ط مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٨-١٩٩٨م
- العرش، للذهبي، ط عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٤-٢٠٠٣م، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ٥٥٠/١٠، ط دار المعرفة، بيروت، قرأ أصله: عبد العزيز بن باز، رقم كتبه: محمد فؤاد عبد الباقي، وأشرف عليه: محب الدين الخطيب.
- الفرق بين الفرق ، لأبي منصور البغدادي، ، ط دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧.
- قاموس الكتاب المقدس، لبطرس عبد الملك وآخرون، ص١٠٦٨-١٠٧٠، منشورات مكتبة المشعل، بيروت، ط٦، ١٩٨١م، بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط.
- لإفصاح عن معاني الصحاح، لأبي المظفر، ط دار الوطن الرياض، ١٤١٧.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، لشمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، ط مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢، ١٤٠٢-١٩٨٢م.
- مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية, ط لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، تعليق: السيد محمد رشيد رضا.